قضايا ونظرات

(الوطن والأمة والعالم)

اتجاهات في دراسات أجنبية:

الولايات المتحدة الأمريكية والحروب الأهلية في الشرق الأوسط

أ.مروة يوسف

30سبتمبر

2015

اتجاهات في دراسات أجنبية:

الولايات المتحدة الأمريكية والحروب الأهلية في الشرق الأوسط

شهدت المنطقة ما بعد الثورات موجة من الحروب الأهلية التي ضربت بعض دول الربيع العربي لأسباب مختلفة وذات تأثيرات مختلفة، وتناولت العديد من الدراسات الأجنبية تلك الحروب بالدراسة والتحليل، ومنها على سبيل المثال دراسة لكل من Kenneth M.Pollack and Barabara F.Walter " الهرب من فخ الحرب الأهلية في الشرق الأوسط Escaping The Civil War Trap in the Middle East" . ضمن أعمال دورية Washington Quarterly التي تصدر عن جامعة جورج واشنطون بالولايات المتحدة الأمريكية[1].

وفي تلك الورقة يحاول الكاتبان الإجابة عن سؤال: كيف تتعامل الولايات المتحدة الأمريكية مع الحروب الأهلية في الشرق الأوسط؟ وكيف يمكن الخروج منها دون تأثير على مصالحها في المنطقة؟ في بداية الدراسة يتحدث الكاتبان عن مشاكل منطقة الشرق الأوسط التي تدهورت على مدار الأعوام القليلة الماضية وزيادة وتيرة الحروب الأهلية في كل من العراق وسوريا وليبيا واليمن مما سيؤدي بالتبعية لانتشارها إلى دول الجوار مثل تركيا ومصر ولبنان والأردن وتونس وانتشار الجماعات المتشددة قي رقعة جغرافية أوسع، بالإضافة إلى تشابك تلك الحروب وتداخلها مع العديد من المشكلات في الدول الأخرى.

وتلك الأسباب أدت إلى تقاعس الولايات المتحدة وعدم اتضاح استراتيجيتها في التعامل مع تلك الحروب على حسب ما يراه الكاتبان؛ لقله رغبة المجتمع الأمريكي والمجتمع العالمي في التدخل في معالجة مشاكل المنطقة.

ويرى الكاتبان أن تخبط الاستراتيجية وعدم وضوحها سيؤدي إلى تفاقم مشكلات الشرق الأوسط لدرجة يستحيل معها حلها، بالإضافة إلى أن التعامل الجزئي مع مشكلات المنطقة سواء في التحالف الدولي ضد تنظيم الدولة أو المناشدات الخاصة بأزمة اللاجئين لن يحل أي من مشكلاتها، بل يجب التعامل مع مسببات تلك الأزمات الفرعية؛ ألا وهي الحروب الأهلية.

ويفترض الكاتبان أنه يجب على الولايات المتحدة الأمريكية أن تضع استراتيجية في محاولة لإنهاء تلك الحروب الأهلية؛ لأن ذلك يهدد مصالحها في المنطقة خاصة مع قابلية انتشار تلك الحروب للدول المجاورة، وبالأخص مع وجود العديد من الأدبيات السياسية التي

---

1 Kenneth M. Pollack and Barbara F. Walter, Escaping the Civil War Trap in the Middle East,: http://twq.elliott.gwu.edu/escaping-civil-war-trap-middle-east

تحلل الحروب الأهلية وكيفية إنهائها. وبالرغم من الحروب الأهلية في الشرق الأوسط متفردة في بعض خصائصها مثل الصراع السني–الشيعي إلا إنها في النهاية تخضع لنفس العوامل والمؤتراث التي تتفاعل مع أي حرب أهلية قد سبق وتم إنهاؤها؛ لذلك فيجب لوضع تلك الاستراتيجية الأخذ بالاعتبار التراكم المعرفي والأكاديمي في التعامل مع الحروب الأهلية.

ولكن لماذا يجب على الولايات المتحدة وضع تلك الاستراتيجية الخاصة للتعامل مع الحروب الأهلية في الشرق الأوسط؟ الجواب: لمواجهة أربعة تهديدات لمصالحها:

1- أول تلك التهديدات هو احتمالية انخفاض حجم إنتاج البترول، وذلك يعد من المصالح الأولية للولايات المتحدة الأمريكية، وربما تبدو تلك احتمالية ضعفية مع انخفاض أسعار البترول إلا أن ذلك لن يستمر طويلًا خاصة أن البترول مازال حجر الأساس في الاقتصاد العالمي، ومع استمرار الحروب الأهلية في بعض دول الشرق الأوسط فمن المحتمل أن يتأثر إنتاج البترول العالمي في المستوى المتوسط والبعيد.
2- التهديد الثاني هو تزايد الجماعات المتشددة، فاستمرار الحروب الأهلية في المنطقة يخلق مساحات على الأرض غير محكومة لتسيطر عليها الجماعات المتشددة مما يسهل من انتظامها وتجمعها داخل تنظيمات قتالية.
3- من المنتصر في الحرب الأهلية؟ من المتعارف عليه أن المنتصر عسكريًا في الحروب الأهلية هو من يملي شروطه على بقيه القوي المهزومة والموجودة على الأرض، وعادة ما تكون هي الأكثر قدرة على استخدام العنف، وعادة ما تكون حكومات معادية للولايات المتحدة الأمريكية.
4- أثر الدومينو، حيث تميل الحروب الأهلية إلى زعزعة الاستقرار في الدول المجاورة لها مع خلق مزيد من العنف، فالدول المجاورة للحروب الأهلية في المنطقة العربية سيتم جرها لنفس الفخ؛ نتيجة لأنها تتدخل لمساعدة أحد طرفي الصراع في الحرب الأهلية أو أن أحد طرفي الصراع يستغل التماسّ الحدودي لينطلق بعملياته ضد الطرف الآخر من أراضي الدول المجاورة.

هذا بالإضافة إلى مجموعة من المشاكل التي تصاحب الحروب الأهلية؛ ومنها زيادة وتيرة العمليات الإرهابية وزيادة أعداد اللاجئين واحتمالية تقسيم الدول التي تشهد الحروب الأهلية، وزيادة المتشددين في الدول المجاورة، مع زيادة المشكلات الاقتصادية والاجتماعية في الدول المجاورة.

والسؤال المطروح هنا –حسب الكاتبين– ما هى الاستراتيجية المقبولة للولايات المتحدة الأمريكية لإنهاء الحروب الأهلية في الشرق الأوسط؟

يؤكد الكاتبان على فكرة أن الانتصار العسكري لأحد أطراف الحرب الأهلية لن يكون السبيل لإنهائها ولكن لاستمرارها، حيث سيتم تشجيع الطرف المهزوم من قبل الدول المجاورة خوفًا من المنتصر، فعلى سبيل المثال: فإن استمرار الحرب الأهلية في العراق سيسمح للشيعة بسحق السُنة وعلى العكس في سوريا؛ مما سيؤدي إلى صراعات أكثر عنفًا و أكثر عمقًا في المنطقة. ولكن تركيز الولايات المتحدة على سحق تنظيم الدولة دون حل الأزمة التي هيأت البيئة لذلك التنظيم للظهور من الأساس لن يكون حلًا بل سيسهل عملية ظهور جماعات ومجموعات أخرى أكثر تشددًا، ولحل كل حرب أهلية على حدة، يجب على الولايات المتحدة خلق البيئة المناسبة لإنهائها من خلال ثلاثة عناصر؛ هي: منع الانتصار العسكري لأي طرف من الأطراف، توزيع عادل للسلطة السياسية، ضمان العنصرين السابقين طوال الوقت.

ويستعرض الكاتبان الاستراتيجية المطلوبة من الولايات المتحدة في بعض دول الربيع العربي التي تخوض الآن حروبًا أهلية؛ ومنها: العراق وسوريا وليبيا واليمن.

1- العراق: حاولت إدارة أوباما تأسيس جيش سياسي غير طائفي في العراق وهو المطلوب لإنهاء حالة الصراع في العراق سواء على المستوي القريب أو البعيد؛ ولذلك كان اقتراب واشنطون في العراق هو إرسال مستشاريين لإعادة بناء الجيش العراقي؛ ومن ثم إرسالهم مرة أخرى لمحاربة داعش مما يجعل السُنة يتفهمون أنهم لن ينتصروا على الشيعة؛ وذلك من أجل أن يقبلوا حلاً سياسيًا غير الذي فشل على يد المالكي وهو الذي حاول فرض الإرادة الشيعية على العراق مما سهل استمرار الحرب الأهلية، مع ضمان الولايات المتحدة أن ما حدث مع المالكي لن يتكرر. أما فيما يتعلق بالأكراد فيجب عليهم أن يكونوا خارج تلك العملية السياسية وباستطاعتهم المناداة بالاستقلال بعد رسوخ الاتفاق بين السنة والشيعة.

الجزء الحرج في تلك الرؤية –ومن أجل إنجاح ذلك الاتفاق– هو أنه يتوجب على الولايات المتحدة الأمريكية زيادة المساعدات السياسية والعسكرية والاقتصادية والتكنولوجية كورقة ضغط لتحقيق مثل هذا الاتفاق، مع تواجد قواتها على الأرض لمدة لا تقل عن عشر سنوات، ومهمه تلك القوات تحويل وتشغيل الجيش العراقي.

في الوقت الذي سوف يطلب السنة اتحادًا فيدراليًا عراقيًا، ومن الممكن أن تمنح تلك الصيغة كلاً من طرفي الصراع السنة والشيعة جزءًا عادلاً من السلطة السياسية لاستمرار الاتفاق لإنهاء الحرب الأهلية تحت جيش هيكلي من السنة–الشيعة–الأكراد، ويدعم استمرار تلك الفيدرالية جيش فيدرالي صغير، وذلك ليضمن السنة أن ما فعله المالكي لن يتكرر.

2- سوريا: الحرب في سوريا أصعب في حلها لعدة أسباب منها: (أ) النظام الحالي غير محبوب ويمثل الأقلية فقط، (ب) المعارضة متشعبة ومقسمة لعدة فصائل متناحرة، (ج) سوريا ليس لها تاريخ في استمرار الحلول الوسط فهي تشبه العراق عام 2006 ولبنان في الثمانينات.

ومثل العراق فالحل في سوريا أن تساعد الولايات المتحدة في بناء جيش سوري بنفس المعايير في بناء الجيش العراقي؛ وذلك من أجل تدمير تنظيم الدولة ومحاربة المجموعات الجهادية ولإعادة بناء نظام سياسي واقتصادي في بعض المناطق، وفي نفس الوقت سيقوم ذلك الجيش وبمساعدة الولايات المتحدة الانتصار على تنظيم والجماعات السنية الجهادية الأخرى وذلك حتي تفهم كل من الجماعات العلوية الشيعية والسنية أن النصر العسكري غير ممكن مما يجعل كل من الأطراف الداخلية والخارجية مثل روسيا وتركيا وإيران والسعودية ترضخ إلى قيادة الولايات المتحدة للمفاوضات لإنتاج اتفاق جديد لتوزيع السلطة لإنتاج حكومة جديدة ممثلة من الجماعات الموجودة في سوريا.

3- ليبيا: وينطبق على الوضع فيها نفس الحلول المقترحة في سوريا والعراق خاصة مع مخزونها من البترول وجوارها لدول مثل مصر وتونس، ومن مصلحة الولايات المتحدة أن لا تنتقل تلك الحرب إلى تلك الدول، ولكن لا يجب على الولايات المتحدة فعل ذلك خاصة وأن هناك التزامًا من قبل الاتحاد الأوروبي تجاه ليبيا للعديد من الأسباب؛ أهمها: أن الاتحاد الأوروبي المتأثر الأكبر من الحرب الدائرة هناك خاصة على تدفق النفط والخوف من موجات اللاجئين.

4- اليمن: اليمن ليست ذات أهمية استراتيجية للولايات المتحدة ولكنها تهدد المملكة السعودية مما جعل الأخيرة تنخرط في اليمن وتساعد السنة ضد الشيعية مع أنهم هم الأغلبية(!)، وهذا بدون شك سيكون في غاية الإرهاق بالنسبة للمملكة السعودية من الناحية السياسية والاقتصادية خاصة مع انخفاض أسعار البترول وتدخل المملكة غير المباشر في بعض دول الربيع العربي لسحق مطالب التغيير.

ويرى الكاتبان أنه –ومن أجل تصحيح الوضع في اليمن– فإنه يتوجب على المملكة أن تدير مفاوضات جدية لكل الأطراف المتصارعة في اليمن.

وبعد،،،

يحاول الكاتبان خلال الورقة وضع استراتيجية للولايات المتحدة للتعامل مع الحروب الأهلية في الشرق الأوسط بناء على مصالح الولايات المتحدة وأهمية الدول لديها؛ ولكن الكاتبان يتجاهلان دور الولايات المتحدة في تلك الأزمات وتأجيجها على مدار السنوات الماضية.

يصر الكاتبان أن التعامل الكلي مع أزمات المنطقة هو ما سيؤدي إلى حلها وليس التعامل مع المشكلات الجزئية، ولكن الورقة ترى أن الحل العسكري هو الحل الوحيد المطروح لإنهاء تلك الحروب مع أن تلك الرؤية جزئية في فهمها لأسباب اندلاع الحروب من الأساس وكيفية إنهائها، فتلك الرؤية مبتسرة تتجاهل المشاكل الاقتصادية والسياسية والثقافية والفكرية التي تعاني منها المنطقة والتي ساهمت في زيادة وتيرة العنف والدخول في الحروب الأهلية.

والتركيز على الحل العسكري فقط يتجاهل أيضًا الحلول السياسية في الحقوق والحريات والخصوصيات الثقافية والدينية للمنطقة، وعلى الرغم من اعتراف الورقة بالصراع السني–الشيعي إلا أنها تتجاهله تماما فيما يتعلق بالحل المطلوب لإنهاء الحروب الأهلية.

وأما فيما يتعلق بالاستراتيجية التي يجب اتباعها فلا يقدم الكاتبان سوى الحل العراقي ليتم فرضه على جميع الدول التي تعيش الحروب الأهلية لكونه الحل الناجح رغم فشله في العراق واستمرار الحرب الأهلية بها وفشل الجيش العراقي في التصدي لتنظيم الدولة على سبيل المثال أو أن ضمان استمرار الاتفاق الأول الذي وضعته الولايات المتحدة لضمان استقرار العراق.

يتجاهل الكاتبان أيضًا مطالب التحول الديمقراطي التي نادت بها الشعوب العربية منذ بداية الربيع العربي والتي قوبلت بحصار وحرب من قبل قوى الثورة المضادة، والتي ساندتها الولايات المتحدة بشكل مباشر أو غير مباشر، والتي أسهمت بشكل كبير في تفاقم العنف في المنطقة ودخول عدة دول في جحيم الحرب الأهلية أو مشارفها.

يرى الكاتبان من خلال ورقتهما المنطقة بئر بترول فقط، ويرتبان أولويات الولايات المتحدة حسب ذلك الأمر، فالدول ذات الأهمية الاستراتيجية والتي يجب أن تبذل فيها الولايات المتحدة جهوداً هي الدول ذات المخزون البترولي، دون الأخذ بالاعتبار ملايين البشر الذين يتأثرون بتلك الحروب وتأثير ذلك على مجتمعاتهم وعلى مستقبلهم ومستقبل المنطقة ككل.

وفي الختام وكما سبق الذكر فإن تلك الورقة هى رؤية أمريكية لما يجب على الولايات المتحدة فعله للحفاظ على مصالحها الآنية في المنطقة دون الأخذ بالاعتبار بمطالب الشعوب أو سلامتها أو مستقبلها في ظل زيادة وتيرة العنف في المنطقة، وإذا استمرت الولايات المتحدة في تلك السياسة أو ذلك التوجه المصلحي فقط فإن دورها في المنطقة سينحصر في زيادة وتيرة العنف لا الحد منه.